

## ﴿ التمدن والملابس ﴾

انه مما يعد عجباً من هولاء الناس على ما وصلوا اليه من الارتقاء في معارج العمران ان لا تكون متلائمة مساعيتهم في سبيل المدنية متشابهة رغائبهم في تحصيلها والاستفادة منها. فانك ترى الواحد منهم يستدني بمدنيته كل اسباب راحته ويستقرب بعلمه جميع ما يرضيه من وسائل معيشته ومسرات نفسه ولكنه مع ذلك يذهل ذهولاً تاماً عن بعض ما يؤذيه حتى تراه وهو المتمدن في كل مظهره كأنه المتوحش الذي يؤذي نفسه وهو لا يدري او يدري ولا يستطيع الى دفع الاذى سيلاً

فلقد سعى الانسان الى مسرة نفسه فأتى واستغنى واحتال على كل اسباب اللذات فاستدناها وعاش بين اكناف العدالة آمناً مغتبطاً حتى استراح ضميره واطمأنت نفسه وعد مدنياً لانه استفاد وانتفع . ولقد سعى الى راحة جسمه فما ترك وسيلة تخفف اعباءه حتى باشرها فاخترع القطارات وابتدع المركبات وتفنن في صنع الآلات وسخر لها كل ما شاء من قوى الكهربية والبخار حتى صارت رسائله تصل بالنسيم بمد ان كان ينقلها على الاقدام والاختفاف وهو يوشك ان ينقل بذاته على متون العواصف محمولاً على اجنحة المناطيد . كل هذا قد فعله الانسان وهو يزيد عليه من اجل تخفيف اعباءه وراحة جسمه ونفسه فهو اذا ادعى انه متمدن فقد تجيء دعواه صادقة لان الراحة مطلوب المدنية ومسرة النفس من اجل مرغوباتها ولكنه حين يدعي انه متمدن من جهة ملابسه لما يبدو فيها من جمال وحسن تقديروا تكونين

فان دعواه تسقط ولا تمينه الحقيقة ببرهان لانه بملابسه هذه يبدو هجياً اذ هو يأخذ لجماله الظاهر الكاذب من حسن جماله الباطني الصادق وهو جمال صحته وحسن راحته

فلقد قضت المدنية على من الزموا اتباع سننها ان تكون ملابستهم مغايرة كل المغايرة لمبلغ علمهم بالصحة وشروطها مع انها في حكم المدنية من اهم ما يحومون عليه ويلتمسونه بكل وسيلة ومن اجل هذا نراه في كل احوالهم وتصرفاتهم لا يسألون الا عن الصحة فاذا اراد احدهم سكنى منزل كانت الصحة من اهم ما يرجوه منه حتى انه لو كان حقيراً ومستكماً لشروط الصحة عده اهم من المنزل الجليل المضر مفضلاً صحة جسمه على مجد نفسه ومقامه . واذا عرض له طعام غالى فيه ما استطاع ما له ارادة ان يكون نافعاً او غير مضر . وعلى الجملة فهو لا ينفك عن طاب الصحة والراحة في كل اعماله واقواله حتى انه عندما نشأ الامراض المعدية تراه يكاد يرى الميكروبات روية لفرط جزعه منها واحتماله على الابتعاد عنها معتبراً ان صحته من اهم ما ينبغي السعي لحفظه وابقائه سليماً . الا انه حين تعرض له الملابس وشروط لبسها لا يخامر فكره انى وجل منها ولا ما يكون فيها من ضرر وسقم مع انه يشعر بالضرر كل الشعور ولم يكن يتبهاً له ان يعتاده على كثرة مواصلته اياه ومباشرته له وهذا مما يقضي بالعجب الشديد من تغاير المدنية وتنافرها لدى المتمدنين

قضى على المتمدن او هو الذي قضى على نفسه ان يلبس الطربوش او القبعة وان يكون مرتدياً بالصدر الضيقة والقميص المكرواة ومحتدياً الخذاء الضيق فارتضى بما قضى به . اضطراً مع انه هو الذي اوجب ذلك الاضطراب

وهو الذي يستطيع ان يحمله اختياراً فانه ينظر الى الطربوش والقبععة مثلاً فيرى انها يضايقانه وانه في الامكان ان يكونا على صورة لا تضايق ولكنه يرضى بهما ويلبس القميص المكواة وهي تجرح عنقه احياناً وتضايقه على الدوام ولكنه يلبسها ولو مات بسببها . ويزر الصدر الضيقة على اضلاعه في اشد ايام الصيف حتى تكاد روحه تفيض من جنبه ولكن من المحال ان يزعها او يرى له في تبديلها رأياً . ويحتدي الحذاء الضيق ينشئ له الدامل توصله الى ابعاد درجات الالم حتى تراه كأنه ماشى بين الجمر ولكنه يفضل ان يلبس كذلك دون ان يستبدله بما يريح بل كثيراً ما كان قطع تلك الدامل سبباً لموت جمهور من المتمدنين بما يبدو على اثرها من العلال والواجع وقطع الاصابع ولكن كان كل هذا هيناً عليهم في سبيل اتباع شروط المدنية الكاذبة مع انهم كانوا يلتمسون الراحة في اول ما ينامسون وكان تغيير هذه الاوضاع من اسهل ما يتم لهم لولا هذا الذهول الذي يصيب المتمدنين في بعض معايشهم واحوالهم حتى ينزلهم بين منازل المتوحشين

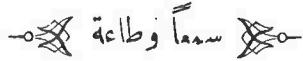
على ان خطب الرجل من هذه المدينة اخف بكثير من خطوب المرأة فان الرجل ينزع طربوشه اذا ضايقه حتى في الطريق ويخلع حذاءه اذا اشتد الالم منه وهو بين جلسائه في النوادي ويفرج عن نفسه من ضيق هذه المدينة بعض ما يستطيع واما المرأة فقد اوشكت ان تموت ضيقاً بين مضاعف المدينة الكاذبة دون ان ترى لها المدنية طريقة تريحها فهي تلبس من قرنم الى قدمها كل ما يؤذي الصحة ويضني الجسد ولكنها تتحمله تحمل الاسير للقيود مع ان خلاصها بيدها وهي لا تدري وهذا من اغرب ما يسجل عن مدينة هذا العصر وما ورد فيها من المغامرة الشديدة من بعض شروطها لسائرنا

ولقد يقال ان الجمال لا بد منه للمدينة وان هذا الوضع من الملابس جميل ولا بد منه لتلائم المدنية بكل اجزائها . وهذا القول صحيح لا ينكر ولكن المقرر ان الجمال يكون على انواع شتى فليس جمال المرأة مثلاً ان تكون في لون كذا وعلى تكوين كذا بل هي تكون جميلة على صور عديدة لا تكاد تحصر وكذلك هذه الملابس الضارة فانها يمكن ان تكون على غاية الجمال وعلى غاية ما يرجى من الصحة فلو لبس الرجل والمرأة حين يكونان في الشوارع والنوادي ما يلبسانه وهما في المنزل من واسع الالبسة لا يمكنهما ان يجعلا ملابسهما على اوضاع تكون في غاية الجمال لان لها من المدنية واتساع العقل ما يضمن لسكل ما يريدانه من الجمال وشروطه ثم يكونان متمتعين فوق ذلك بجمال الراحة والصحة وهو ما ليس ببعده جمال

ثم ان الجمال قد دق حتى لا يعرف اين مكانه وكيف شكله فاذا كنا نعتبر الجمال في مرئي لاننا اعتدنا رؤيته وحسبانه جميلاً على تلك الصورة فان غيرنا لا يعتبره كذلك لانه لم يتعوده وعلى هذا يكون الجمال قد وضع من الناس وضعاً ولم تحتم به الخلقة حتما اي انه مما يقبل التغيير له والتغيير في الشعور به حين ارادة الانسان . فلو كان هذا المتمدن يخاق له صوراً جميلة من الملابس تكون ملائمة لشروط الصحة اتم تمدنه وصحته وكان تمدنه صادقا لانه كان نافعاً لان ما ليس بنافع لا يصح ان يوسم بمسمى المدنية

على ان الافرنج الذين نقلهم بهذه الازياء الضارة قد اخذوا انفسهم يقلعون عنها بالتدرج الى ازياء تكون موافقة لصحتهم غير ناهكة لابدانهم ولذلك ترى عندهم شتى القبعات والسراويل والصدرات والاحذية وكل منها قوعين لانه تكون لها موافقة وبذلك امكانهم تقابل الضرر على قدر الامكان

وقد كان الانكليز اسبقهم الى هذا الشأن لانهم اكثر الشعوب الاوربية ميلاً الى البساطة واعتبار الجواهر دون الاعراض وهو ما يشاهد من الناظرين منهم في هذه البلاد اذ يبدون دون امثالهم من الافرنج على حالات لا يهتم فيها بالجمال دون الصحة . وقد مشى نساؤهم ايضاً على هذه الطريقة حتى بدلوا كثيراً من ازيائهم واستعاضوا عنها بالبسيط المريح حتى اننا رأينا في احدى جرائد الازياء عندهم صورة فتاة انكليزية لابسة جلباباً بسيطاً للجلايب النساء المعروفة عندنا وقد احدث رأسها علامة الشكر لفتاة مصرية مصورة امامها بالجلباب المصري المعروف وهو رسم قصد به الدلالة على فضل هذه الجلايب البسيطة الملائمة لشروط الصحة وقد اطلق على هذا الجلباب عندهم اسم (جبة) ليبقى معروفاً بأنه من ازياء العرب الدالة على البساطة وتقديم الصحة على كل شيء . ولقد كان الانكليزيات يلبسن شيئاً من هذه الجلايب وهن في منازلهن واما الان فقد حسنت الجبة المصرية لديهن حتى اردن تحسينها مع بقائها على الوضع الاصلي والارتداء بها في كل مكان ناركات تلك الصدور والارداف والاكتاف المستعارة الى كل قبيلة نقل ثيابها وكل فاقيل عقل يستحسن لابساتها . فاذا كانت المرأة عندنا تخشى ان لا تكون مقلدة لاحد لو ارتدت بالملابس البسيطة المريحة فهذه المرأة الانكليزية فلنقلدها فانها احسن نساء اوربا عقلاً وتدبيراً او فلنقلدها لابسات الجلايب في بلادها فان احسن امرأة اوربية قد صارت تقلدها



الى حضرة الفاضلة (قارئة) صاحبة الردود علينا اكتب الان ما يزيد حضرتها عجباً فوق ما تعجبت من مقالتي السابقة ومناظراتي معها التي كان من امرها انها ترجوني ان لا اتعرض للسب والشتم واترك الموضوع لانها تقول انها تكبره ذلك (مؤكد!) وليس كلامها عن المناظرة بل عن الكلام الخارج عن الموضوع !!!

ولكن لما اعيد فاتحة كلامها في ردها الاخير حيث تقول لاني لست اهلاً لمناظرة مثلك الخ بل لم اتعلم تعامياً كافياً . . . نعم ان الذكاء فطري ولكن التعليم مما يساعد الانسان الى آخر ما جاء في كلامها الافتتاحي فاراني مضطراً بحكم الطبع ان لا اقابل هذا التنازل من حضرتها الا بالعمق والمساحة والادب ولعل حضرتها تفهم عما فرط ان كانت تظن فينا خروجاً عن الموضوع الى ما تسميه سباً وشتماً . وحيث ان هذه الفترة قد زالت فلنعمد الان لما كنا فيه بعد ان ابدي ما ظهر لي من لهجتها وفكرها فاقول

يظهر ان حضرة السيدة القارئة بين الثامنة عشرة والتاسعة عشرة وانها من عائلة شريفة متوسطة الثروة وليس لها اخوة ذكور وانما لها اقرباء كبناء الاعمام وغيرهم وان لها رغبة شديدة من نفسها للتعلم وهي كثيراً ما تطالع الجرائد وخصوصاً المجلات وان لها قريباً بخيلاً وان اهلهما اغلبهم على عادتنا القديمة المضرة . وبين ايام حياتها سعادة انقضت معظمها وبمائد لها غيرها وهي كثيرة الاعجاب بآدابها غير راضية عن الجاهلات لا تعاشر الايام ولا الاذنياء